يتعرّض الشجر وخاصّة البلوط للصواعق، كما تتعرّض لها السفن في البحار والمحيطات، وإذا أصيب شخص بمسّ بسيط من صاعقة وجبت المبادرة إلى إجراء التنفّس الصناعي له لوقت طويل، وربّما تعود إليه الحياة وغالبًا ما يفقد حياته، ولا عجب فقد أهلك الله عادًا وثمود بالصاعقة، فقال: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1].

ويسبّب الرعد سخينًا شديدًا فجائيًا في مناطق الهواء التي ينبعث منها، وكذلك تفعل الصاعقة بطبيعة الحال، فتتمدّد هذه المناطق فجأة وتولّد سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل في الجوّ، و"هو الرعد"، ويعزو العلماء جلجلة الرعد المعروفة إلى ما يعتري سلسلة الأمواج الصوتيّة هذه من عدّة انعكاسات من قواعد السحب ومن المرتفعات ونحوها.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

اللّهُمَّ أرنا الحقّ حقًا وارزقنا اتّباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

الآيات من 21 - 22

الأمر بعبادة الله وحده والأسباب الموجبة لها

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

بعد أن ذكر الله تعالى أصناف الناس الثلاثة - المؤمنين المتقين، الموقنين، والكافرين، والمنافقين -جاء الأمر الإلهي لجميع الناس، ومن بينهم مشركو مكّة، بعبادته وحده، والخضوع له بالطاعة، وإفراده بالربوبيّة والوحدانيّة، وترك عبادة الأوثان والأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها،

وذلك لأنّ الأدلّة القاطعة والبراهين الواضحة قد ظهرت على أنّه لا إله إلا الله، وأنّه سبحانه هو خالقهم، وخالق آبائهم وأجدادهم، وخالق كلّ شيء، وهو المنعم المتفضّل على جميع الخلائق، بما أنزل من خيرات الأرض والسماء.

المعنى العام

أي يا عبادي اعبدوني بقلوبكم بالتوحيد والإيمان، وبجوارحكم بالطّاعة والإذعان، وبأرواحكم بالشّهود والعيان، فأنا الذي أظهرتكم من العدم - أنتم ومَن كان قبلكم - وأسبلت عليكم سوابغ النّعم، الأرض تقلكم، والسّماء تظلّكم، والجهات

(١) سورة فصلت، الآية: ١٣.

تكتنفكم، وأنزلت من السّماء ماء فأخرجت به أصنافًا من الثّمرات رزقًا لكم، فأنتم جوهرة الصّدق، تنطوي عليكم أصداف مكنوناتي، وأنتم الذين أطلعتكم على أسرار مكنوناتي، فكيف يمكنكم أن تتوجّهوا إلى غيري؟ وقد أغنيتكم بلطائف إحساني وبِرّي، أنعمت عليكم أولًا بالإيجاد، وثانيًا بتوالي الإمداد، خصصتكم بنور العقل والفهم، وأشرقت عليكم نبذة من أنوار القِدم، فبي عرفتموني، وبقدرتي عبدتموني، فلا شريك معي ولا ظهير، ولا أحتاج إلى معين ولا وزير.

يخاطب الله تعالى روحك وعقلك وبصرك، لبيان وحدانيّة ألوهيّته، فهو تعالى المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النّعم الظّاهرة والباطنة، فهو الخالق الرّازق، مالك الدّار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحقّ أن يُعبد وحده ولا يُشرك به؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وهذا كلّه صيانة وحماية لجناب التّوحيد. فالتّوحيد هو الحقّ الذي لا شكّ فيه، وهذه الآية دالّة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له. فإنّ من تأمّل هذه الموجودات السفليّة والعلويّة، واختلاف أشكالها وألوانها وأطباعها ومنافعها، وَوَضَعَها في مواضع النّفع بها محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه، وإتقانه وعظيم سلطانه.

وقد سئل أبو النوّاس عن ذلك فأنشد:

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى كُثُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وقال ابن المعتزّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وقال أبو الحسن الشستري:

أُنْظُرْ جَمَالِي شَاهِدًا ... فِي كُلِّ إِنسَانِ
كَالْمَاءِ يَجْرِي نَافِذًا ... فِي أَصْلِ الأَغْصَانِ
يُسْقَى مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ ... وَالزَّهْرُ أَلْوَانِ
فَاسْجُدْ لِهَيْبَةِ ذِي الْجَلَالِ ... عِنْدَ التَّدَانِي
وَلْتَقْرَأْ آيَاتِ الْكَمَالِ ... سَبْعًا مَثَانِي

وقال آخرون: من تأمّل هذه السموات في ارتفاعها واتّساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصّغار النيّرة، من السّيارة ومن الثّوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كلّ يوم وليلة، ولها في أنفسها سير يخصّها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كلّ جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقرّ ويسكن ساكنوها، مع اختلاف أشكالها وألوانها، وكذلك الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوّعة والنّبات المختلف الطّعوم والأراييج، والأشكال والألوان مع اتّحاد طبيعة التّربة والماء، استدلّ على وجود الصّانع وقدرته العظيمة وحكمته، ورحمته بخلقه ولطفه بهم، وإحسانه إليهم وبرّه بهم، لا إله غيره ولا ربّ سواه.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. **وجوب معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته:** فمعرفة الله هي الغاية العظمى من الحياة، إذ من خلالها ندرك عظمة الخالق وحكمته. الله تعالى يقول لك: اقرأ أسمائي في المخلوقات، اقرأ بالمخلوقات رحمتي، اقرأ بالمخلوقات قدرتي، اقرأ بالمخلوقات برّي بك ولطفي بك وعظمتي وإبداعي، وكل هذا وغيره تقرأه في المخلوقات كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1].

٢. **وجوب عبادة الله تعالى وحده،** لأنه هو الخالق ولو كان لهذا الكون أكثر من خالق لما وجدت هذا الإنسجام وسينازع الخالقان. و العبادة تكون تبعًا لأمر الله ورسوله ﷺ: فالعبادة ليست اختياريّة، ولا تُمارس بحسب ما يراه الإنسان مناسبًا. كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: **"لو كان الدّينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولَى بالمسحِ من أعلاهُ، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يمسحُ على ظاهرِ خفَّيهِ"**[2].

٣. أما **العبوديّة:** فهي الرضا بقضاء الله وقدره، وقبول أفعاله تعالى دون اعتراض، هي الرضا عن فعل الله، والرضا بما قسمه الله لك.

٤. **تحريم الشرك بكلّ أنواعه،** صغيره - مثل الرياء - أو كبيره - كأن تشرك مع الله غيره بالعبادة سواء كان ظاهرًا أو خفيًّا.

- **العبادة هي:**

✓ **فعل ما أمر الله بفعله أو تركه في الوقت،** والدّين لا يؤخذ بالرأي إنما بالنص فلا تصحّ بعض العبادات في أوقات معيّنة، مثل الصّلاة والصيام للحائض، أو التطيّب وحلق الشعر وقت الإحرام .

✓ **بذل الجهد في موافقة الأمر الإلهي وتحقيقه،** ويدخل فيه التّوحيد بالقلب، والتّجريد بالسّرّ، والتّفريد بالقصد، والخضوع بالنّفس، والاستسلام للحكم، وهي استفراغ الطاقة في متطلّبات تحقيق الغيب، تنفّذ أوامر الله بالوقت.

✓ **توحيد الله مع الاعتقاد بأسمائه الحسنى،** فلا ضارّ ولا نافع، ولا معطي ولا مانع، ولا رازق ولا شافي إلا الله تعالى وحده. وهي التزام شرائع دينه، بحيث تسهم العبادة الخالصة لله في غرس أصول التقوى في قلب المؤمن.

- **التقوى ومخافة الله:** فلازمة العبادة الخالصة لله مدعاة لغرس أصول التّقوى في القلوب، فلا يجرؤ المتّقون على مخالفة الأوامر أو اقتحام المعاصي.

- **توحيد الله وإثبات قدرته:** توحيد الله يقتضي إثبات الصانع الذي لا يشبهه شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء. ومن مظاهر قدرته العظيمة رفع السماء بغير عمد نراها، واستمرار ذلك على مرّ الزمن دون تبدّل أو تغيّر.

- **غنى الله ورزقه:** تشير الآيات إلى أنّ الله تعالى هو الغنيّ المغني الكافي، الذي يغني الإنسان عن الاعتماد على أيّ مخلوق، فلا بدّ من إفراده بالعبادة. الله ساق لك الأرزاق وأغناك عن كلّ مخلوق.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " قلت يا رسول الله أيّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: ﴿أن تجعلَ للهِ ندًّا وهو

(١) سورة العَلَق، الآية: ١.

(٢) رواه أبو داود في سننه، عن علي، كتاب: الطهارة، باب: كيف المسح، الحديث صحيح الإسناد، حديث رقم: ١٦٢.

خَلَقَك ﴾[1]. الشّرك كان في زماننا أسبابًا، وفي زماننا أسباب، لا رازق إلّا الله، لا نافع، لا ضارّ، لا معطي، لا مانع، لا خافض، لا رافع، لا مؤثّر إلّا الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله. وعن ابن عبّاس ﷺ قال: ﴿أنّ رجلًا قال: يا رسول الله ما شاء الله وما شئت، فقال: "جعلتني لله عدلًا، بل ما شاء الله وحده ﴾[2].

- **الدليل على وجود الله تعالى:** سُئل أعرابي عن دليل وجود الربّ تعالى، فقال: "يا سبحان الله! إنّ البعر ليدلّ على البعير، وإنّ آثار الأقدام لتدلّ على المسير. فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدلّ ذلك على وجود اللطيف الخبير؟". هذا هو الدليل العقلي على وجود الله بالنظر إلى الآفاق.
- **اختلاف اللغات والأصوات:** حكى الرازي عن الإمام مالك أنّ الرشيد سأله عن وجود الله، فاستدلّ باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.
- **السفينة في البحر:** سأل بعض الزنادقة الإمام أبا حنيفة ﷺ عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: "دعوني، فإنّي مفكّر في أمر قد أُخبرت عنه. ذكروا لي أنّ سفينة في البحر موقرة (أي كبيرة)، فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها أو يسوقها، ومع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام، حتى تتخلّص منها، وتسير حيث شاءت من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل. فأجبتهم: ويحكم، هذه الموجودات بما فيها من العالم العلويّ والسفليّ وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة (القمر، الشمس، البحار، المخلوقات)، أليس لها صانع؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحقّ وأسلموا على يديه."
- **الورق والثمار:** سئل الشافعيّ ﷺ عن وجود الصانع، فقال: "هذا ورق التوت طعمه واحد، تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم (الحرير)، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد".
- **الحصن الأملس:** سئل الإمام أحمد بن حنبل ﷺ عن ذلك، فقال: "ههنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز. فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك: البيضة إذا خرج منها الديك أو الدجاجة."

خلاصة: كلّ هذه الأمثلة تؤكّد أنّ الصنعة تدلّ على الصانع، أي على وجود خالق بديع حكيم لطيف لهذا الكون.

تعرَّف إليهم بذكر ما مَنَّ به عليهم من خَلْقِ السّماء لهم سقفًا مرفوعًا، وإنشاء الأرض لهم فرشًا موضوعًا، وإخراج النّبات لهم بالمطر رزقًا مجموعًا، ويقال أعتقهم عن مِنَّة الأمثال بما أزاح لهم من العلّة فيما لا بُدَّ منه، فكافيهم السّماء لهم غطاءً، والأرض وِطاءً، والمباحات رزقًا، والطّاعة حرفةً، والعبادة شغلًا، والذّكر مؤنسًا، والربّ وكيلًا. فلا تجعلوا لله أندادًا، ولا تُعلِّقوا قلوبكم بالأغيار - الأصنام والأسباب- في طلب ما تحتاجون إليه؛ فإنّ الحق سبحانه وتعالى مُتَوَحّد بالإبداع، لا مُحْدِثَ سواه، فإذا توهّمتم أنّ شيئًا من الحادثات من نفع أو ضرر، أو خيرٍ أو شرّ يحدث من مخلوق كان ذلك في التّحقيق شِرْكًا، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك في قرارة أنفسكم. فتعلُّقُ المحتاج بالمحتاج، واعتماد الضّعيف على الضّعيف يزيد في الفقر، ولا يزيل هواجم الضُّرّ[3].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا...﴾، حديث رقم: ٤٤٧٧.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن ابن عبّاس، مسند: بني هاشم، مسند: عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب. الحديث حسن لغيره، حديث رقم: ٢٥٦١.
(٣) لطائف الإشارات للقشيري، ص٦٨.

في الأمر والنّهي

النهي عن الشرك الأصغر: يحذّر الإسلام من الوقوع في الشرك الأصغر، كقول: **"لولا الله والطبيب الفلاني ما شفيت"**، أو **"لولا الله ومساعدة فلان ما نجوت من هذا البلاء"**. فهذا النوع من العبارات قد يُفهم منه أنّ هناك من يشارك الله في الفضل. والصحيح أن ننسب الفضل كلّه إلى الله تعالى وحده، فهو الشافي والمنقذ من البلاء، أمّا الأشخاص الذين كان لهم دور، كالأطباء أو غيرهم، فنقدّرهم ونشكرهم باعتبارهم أسبابًا سخّرها الله لتحقيق ما أراده.

في الأخلاق والآداب

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ»[1]، فقد نهاه عن قول "ومن يعصهما"، فهذا شرك خفيّ.

في السّيرة والشّمائل

في السّلوك

الإشارة: اعبدوه بالتّجرد عن المحظورات، والتّجلد في أداء الطاعات، ومقابلة الواجبات بالخشوع والاستكانة بترك الكبائر نصبر على أداء الطاعات والخشوع فيها، والتّجافي عن التّعريج في منازل الكسل والاستهانة.

المؤمن ليس كسولًا ولا يستهين بأمر من أمر الله ولا بسنن النبيّ ﷺ.

في الإعجاز العلميّ

القارّات الخمس مفارش للأرض

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾.

فِرَاشًا أي بِساطًا ووطاء للاستقرار عليها، وقيل: أي مهدًا كالفراش، مقرّرة موطأة مثبتة كالرواسي الشامخات.

وذكر المفسّرون أنّ "جعل" يأتي أيضًا بمعنى (خلق)، و(سمّى).

الإعجاز في فرش الأرض:

الملاحظ أن هناك ترتيبًا زمنيًّا معينًا يشير إلى:

١. فرش الأرض وبناء السماء، وفرش الأرض يشير إلى تكوين قشرة لها، أو غلاف صخري لها.

٢. إنزال المطر من السماء بعد فرش الأرض.

٣. إخراج الثمرات عقب إنزال الماء، كما يُفهَم من حرف "الفاء" الذي يشير إلى الترتيب مع التعقيب.

والآية تشير إلى مراحل تكوُّنِ أغلفة الأرض، وهي:

- الغلاف الصخري: (Lithosphere).
- الغلاف الجوي: (Atmosphere).
- الغلاف المائي: (Hydrosphere).

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن عدي بن حاتم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصّلاة والخطبة. حديث رقم: ٨٧٠.

● الغلاف الحيوي: (Biosphere).

وتشير الآية إلى مراحل تكوين تلك الأغلفة، وهذا هو المستقرّ علميًّا عند أهل التخصّص الدارسين لعلم الأرض (الجيولوجيا)، وهذا الترتيب الزمنيُّ في حدِّ ذاته يمثِّل إعجازًا علميًّا سبق به القرآنُ العِلمَ.

الغلافُ الأوّل الصخريّ هو الأقدم في التكوين؛ فقد نشأ منذ قرابة أربع مليارات سنة، ومنذ ذلك التاريخ وحتّى يومنا هذا، أخذ الغلافان الأخيران يمارسان نشاطيهما في تفتيت سطح قشرة الأرض الصُّلبة؛ عن طريق وسائل التجوية الكيميائيّة والميكانيكيّة، وتكوَّن من جرّاء تلك العمليات الخارجيّة رواسبُ وصخور فتاتيّة من مثل الرمال والحصى والطين وصخورها من الأحجار الرمليّة.

ومن ثمّ نشطت الدورةُ الجيولوجيّة بأجنحتها الثلاثة: من دورة الصخر، والدورة المائيّة، ودورة القارّة العظمى، فقدّمت الدورة الأولى منها مادّة الرواسب والصخور التي فرشت الأرض؛ وذلك في أثناء التحوّل من الصهارة إلى الصخور الناريّة والرسوبيّة والمتحوّلة في دورة متكرّرة، وقد أسهمتْ عناصر الغلاف الجويّ والمائيّ والحياتيّ في دورة الصخر السابقة وتشكيل سطح الأرض؛ وبناء على ما تقدّم فإنّ فرش الأرض يتمثَّل في تكوين غلافها الصخري أوّلاً، ثمّ تشكيل سطح الأرض وتضاريسها بفعل العمليّات الخارجيّة من دورات تحاتّ وتجوية، وبتأثير عمليّاتها الداخليّة من البراكين وقوى الرفع.

ومع استمرار نموّ الأرض، عبر فترة زمنيّة طويلة؛ تقدَّر بحوالي ٤٦٠٠ مليون سنة؛ أي: عبر عمر الأرض؛ حيث أَخَذَتِ الأَرضُ زُخرُفَها الذي نعهده اليوم، بجبالها العالية، وأخاديدها العميقة، وأنهارها السارحة، وسبلها المذلَّلة، وبحارها الواسعة، ودوابّها المبثوثة، وغلافها الجوي المتّزن في مكوناته ونِسَبِه، وأصبحَتِ الأرضُ فِراشًا ومِهادًا، نعمة من الخالق الذي خلَقَ كلَّ شيء بقدر.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه

الآيات من 23 - 24

تحدّي الجاحدين بالإتيان بمثل أقصر سورة من القرآن

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾.

أسباب النزول والمناسبة

بعد أن صنّف القرآن الكريم الناس إلى ثلاثة أقسام: **المتّقين الموحّدين، والجاحدين المعاندين، والمنافقين المذبذبين،** وبعد أن أثبت وحدانيّة الله وربوبيّته، ونفى وجود الشّركاء بالدّليل والمنطق والبرهان، جاء إثبات أنّ **القرآن الكريم**